ارتعاشات النحّات

صلاح بن عيّاد

ارتعاشات النصّات

الغاوون

ولد صلاح بن عيّاد في مدينة تونس العام 1975. حصل على جوائز عديدة آخرها الجائزة الأولى لـ"ملتقى قصيدة النثر في تونس" (أكودة). صدر له: «المشرب الجامعي» (2004) وهو مجموعة مشتركة. وله مؤلفات أخرى وكُتب مترجمة تنتظر النشر.

الطبعة الأولى، 2009
منشورات "الغاوون"
© جميع الحقوق محفوظة

تصميم الغلاف: مايا سالم
لوحة الغلاف: سبجان آدم

لبنان، ص. ب: بيروت – الحمرا 113 – 5626
ت: 022058 3 961 +
U.S.A: 5319 Nolensville pk F205 Nashville,
TN 37211 - Tel:016157539783
zeinab@alghaoon.com
www.alghaoon.com

نثريّة لخريف بجماليون

الإيقاعُ قطراتُ ماء تتساقط في انتظام.
صوت كعوب المارّات المتوتّر.
الوجوه تتمطّى في الواجهات الفضيّة.
أنا بجماليون ذو اليدَين المخلوطتَين.
أحفر حرفَين مخلوطَين.
أحفر النعوت متلاصقة.
المنعوتات غبار يحوم حول إفروديت.
وحول سفسطائيّ مخبول يوضّح يوماً غائماً في المدينة.

أنا بجماليون
سلالي معلّقات في الفراغ.
الوجوه تتوالى عجيبة على وجهي.

في المدينة تشبيهات بلا مشبّهات بها.
كاف التشبيه تنصّب آلهة بلا عبّاد تقف طويلاً في الشرفة.
لون المزهريّات ينام في خيال التراجيديين الماشين بلا انقطاع.

أنا بجماليون في قلبي قلوب ثاقبة.
أكتب استعارات بليلة بينما تنام أثينا مثل أي امرأة
تنام تحت ذراعَي زوس الراكب غيمته.

هل ترمي الفكرة مطريّتها جانباً
كي تلتمس شفتيّ اليابستَين؟

أنا بجماليون ذي الشمس الملتهبة.
أنا صرصار يبحث عن أغنيته في الحركة.
وفي حبل النمل الأسود.

أنا بجماليون
ولا شيء بين يديّ من كلّ الأشياء المتناثرة هذا الخريف.

اليوم الصفر

1ـ الما قبل

من النافذة أصيد أرنباً شعرياً برّياً.
أكيد للّحظة كيداً.
أعربد فوق حيرة الأرض.

من النافذة أوصل هذا بذاك.
أفرط في اتّباع أرجوحة فارغة
تتدلّى بين نجمَين.

من النافذة أجمّع الصدف
أجمّع الضراوة المتقافزة في الظلمة.
ومن قلبي تتقافز أرانب رماديّة نحو البرّ.

من النافذة أنقر الرؤى.
الرؤى من فوق رؤوس الهواء.
أمشّط خيوط الشمس المتغرّبة
في غروبها.
وقبل غلق النافذة.

من النافذة ينزّ حبّي فضّةً.

يتوه عطر البيت وراء امرأة
مارّة بسرعة نبضي
المتقافز من النافذة.

2ـ برّاق أيها العنف الكامن في السواد

يداي تضيعان في البدء.
تتشوّشان في تشوّش الروائح.
تقفان بلا اسم أمام اللاشيء.
تقفان داخل رأسي بلا مهنة.
تبردان كما يبرد الهارب.

يداي تقفان في بُكم.
تنفطر حركاتهما الصغيرة
داخل المفاصل.
يداي ملقاتان في الظلمة اليابسة.

تصدّهما جدران من حجر وأخرى في القلب.
القلب النابض في مربّع الحجرة.

يداي تقفان في لهوهما.
تتهاويان من أجل ضجّة قليلة في الفراغ.
كقطرتَي ماء تهويان في الغرابة.

تتقطّع الحركة كخيط بينهما.
تلامسان العينَين المغمضتَين
وتحملان طعم إغماضهما بين الأصابع.

يداي تهويان في اللاشيء.
تنغمسان في شهوة من الطين الحارّ
شهوة تنام فوق السرير الملائكيّ.
ثمّة أسترة بيضاء تنزاح ببطء
عن فكرة وجه صغير في مربّع الحجرة.

تقفان
ثمة خوف يصبغ الأصابع والقريحة.
ثمّة خوف عند العتبة.
ثمّة خوف قُبيل الوجه الصغير.

يداي تهويان على الطين
كقطرتَي ماء
تهويان من أجل لمعانات صغيرة في اللون.

ماذا لو ترتفعان ببطء في اتّجاه الضوء القليل
النازل من الشبّاك؟
يشقّ الضوء أصابعهما.
أرى نصف السبّابة.

أرى اعوجاج الإبهام.
أرى
البنصر والخنصر ظلَّين يتحرّكان.

أشمّ الحركة المحلّقة تحت السقف.
أشمّ الأسئلة المتعفّنة وراء السقف.
أشمّ الأسماء والمهن.

أشمّ لغة الجسد الساكن في المربّع.
أشمّ لحم الخيال الصافي.
ألمس ثغوراً مبتسمة وسط فقاقيع البلل المتفرّقة.
أرى حلمات ورديّة بين يديّ المرفوعتَين.
أرى بركة الحركة
تتمسّح على جدران الحجرة.

أسحب الخنصر والبنصر إلى الضوء القليل
يتساقط الظلّ عنهما.
تصغر عيون الأشباح المتقافزة.

يصغر اللاشيء.
يكبر شيء ما ويفور.
يكبر الآن شيء ما في قلبي النابض.
في مربّع الحجرة.

تصغر الفوضى البدئيّة.
تبرق قطرة الماء تلك
فيتّضح السقف.
تتّضح لي اللهفة الحق.
يتداور إيقاع مصقول حول الفانوس.
تتزاوج قبالتي أحاج من كون حارّ.
والأسرار تتقافز فوق ركبتيّ.

برّاق أيها العنف الكامن في السواد.
برّاق أيها الرابض في الرحم الطينيّة.
برّاقة أيتها الأجنحة الزرقاء المصفّقة في الصمت.

برّاقة أيتها الأعين التي
ترمقني من كلّ جهة.
برّاق أيها الهذيان.
فتمسّح على يديّ كقطّ.
سأنصت إلى اختلاط الينابيع.
أنصت إليك أيها العنف الأسود.

3ـ قبضة من الطين

أجمع كتلة طين باردة وبكماء
تختلط ألوانها.

داخل كتلة الطين البكماء.
يختبئ شيء ما.

شيء ما يفور ويتراءى لي في الداخل المغلق.
شيء ما متكاسل وصامت.

أحفرك أيها الطين عن الشيء العاري
الشيء الخافق الذي في انتظاري.

أحفرك عن ماضٍ يرقد في عدميّة.

أيتها الكتلة الخرساء
تمايلي بين يديّ الفارغتَين.
عبّئي الدائرة المتضخّمة بين ذراعيّ.

ذراعاي تطوّقان اللاشيء في سكون
داخل الطين الأبكم.
أيتها الفكرة العمياء انفجري.

إني أتلمّس عشوائية حواسّك المبثوثة في التراب الأعمى.
ألتقي بك في البلل الشهيّ.
تعرَّي
مفصلةً بعد أخرى أيتها الفكرة.

اخرجي من داخلَين.

أطلّي بعد ندبي القدسيّ للطين المتكوّم حولك.
ها أنا أرمي ما يزداد عن خلقتك المنشودة.
ها أنا أقشر العدم عن وجودك
ها أنا أشتقّ من طينك الأعمى
فكرة مضيئة.

تعرَّي.
تمازجي تحت ضربات يمناي.

استيقظي تحت اللهفة المتهافتة من لمساتي البرّية في يساري.
أنت نطفة من المعنى.
وفيضان من التوحّش.
أنت «العلق» العالق في الغسق.

أنت اللّعاب المقدّس في أفواه على الحائط.
أنت السموم.
أنت الأمواه المتهافتة من كلّ شقّ.

أنت الدهون الشافية.
عمّري اللاشيء الحزين أيتها الفكرة.
كوني فتنة الغرفة.

اليوم الأوّل

1ـ الماء والطين

العالم دائرة طريّة تتمطّى بين يديّ.
العالم عنق طينيّة تتلوّى في قبضتي.
عنق امرأة تتوالد في الأغوار الظلماء.
امرأة من الماء والطين.
الماء والطين الحقيقتان الممزوجتان بين يديّ.

حراكي عنيف صوب الدائرة الطينيّة.
قفزاتي محمومة داخل العنف البنّي.
الماء والطين بكائيّتاي الآن.
التعاليم القديمة وقد بدأت صحوتها
وتوالدها فوق مقدّمات أصابعي.

حراكي عنيف صوب الملكوت.
أخنق الطين.

من بكاء سأقدّك.
وألتمس نطفك النيّئة على السواحل الباردة.
العالم مفرّق بين دوائرك الشهيّة.
دوائرك اللاصقات على القاعدة الخشبيّة.

أيتها اللامتشكّلة بعد،
من بكاء سأقدّك.
من شهوة الرقصة السكرانة على الحوافّ.
من ماء وطين وعمى وصدفة.
من داخلي الأجوف المصفّر في العَتَمَة.
من فراغ وهشاشة هذا الصباح.
من بكائيتيّ البدائيتَين وزفرة الأفعى المنطلقة في دمي.
من اللّمس الخاطف.
ومن تلمّس البلل المشتهى.
من غبطتي بين روائح التربة.
من مهنتي العبث أقدّك.
أيّتها اللامنحوتة بعد،
كي تملئي الغرفة المليئة بالشهيق.

الطين والماء ملهياي اللزجان المطيعان.
أكوّر ما لذّ من كريّاتك ودواخلك.
أوقف قامتك في جنون وفي لهاث.
قامتك الغامضة صاحبة المستقبل.
قامتك السوريالية ذات الظلّ الرماديّ.

تقفين بلا صفات.
أقف مخلوط الحركة.
يداي لسان يوقف كتلة طينك الثقيلة.

قفي في قلبي.
قفي في غرفتي.

2ـ الفكرة الجائرة

(ومضة وراء)

مرّت الفكرة كم مرّة.
لا سوى الغبار في كلّ شيء.
مرّت أمام الشبّاك الأخرس.
ولم أنتصر بعد على ألمي.
تناوبت في الصلاة:
صوفيّاً، طوبيّاً، كافراً، حزيناً.

انفجري أيتها الفكرة
كلّما تناوبت فيك.
اصعدي في المرآة الجائعة.
تكوّري أيتها الفكرة في سماء الغرفة.

أيتها المشاغبة.
أيتها الباركة على جسدي المعرّض
لاستعارات الليل.
أيتها الملوحة في الماء الصادق بخباياي.
ابرقي في المسافة كلّها.

شفتاي مشوّشتان.
ويداي يُغمى عليهما في تلمُّسك
أيتها الفكرة.

أيتها السيّدة النديّة
الصاقلة للطين في الأسئلة.
يا سيّدتي البهيّة المتمشّية في البهو.

يا سيّدتي
قهوتي بلا طعم ولا نهد لطعم الإناث اللاتي يلهثن في البهو.
فمُري الطير ليحلّق فوق الطاولة.

الأفق مذكّر أزرق قاس.
ولا أدري كيف أطير كآخر العصافير.
الأفق عجوز شريد يغفو فوق الرصيف.
فاركضي بين ورقتَيّ.

عودي إلى الغبار العالق في الملاحم.
عودي إلى التواء الأدخنة في القرى.
عودي إلى مواء بقع سوداء تهيم في الليل.

لي جنون الدوائر
يا سيّدة الجنون.

لا تعبأ الطريق بصفرة حذائي.

ينبح الانغلاق.
سينبح الانغلاق.
ستمرّ نوق من ريق على حنجرتي الرمليّة.
مغمض القلب يا سيّدتي
أفرّ إليك
أفرّ إلى بابك المغلق.

يا سيّدة وراء الغلق
لمَ لا تصعدين
جمجمتي المتعبة؟
عودي إليّ «مقربتي»
إلى الغرفة المتوسّدة الذكريات.
أطلّي من فتحة الولادة.
لتنزّ الطيور.
ولتطرّ فيك أصابعي الحارّة.

أحتاج أن أتشمّم الوقت الواضح
في ساعتي الحائطيّة.
ابقيْ للعبث
العبث صاحب الدمعة من عين
والابتسامة من الأخرى.

ابقيْ لهوائي.
ابقيْ لسماء الشمعة المطفأة.
ابقيْ أنيساً بصريّاً صافياً.

ابقيْ للماء اللامع على شفة
الفراغ المبتسم قبالتي.

لألوان المعابد الحائرة
ابقيْ
كي يرقص الراقصُ بوضوح.

لندى في الإيقاع، ابقيْ.
لأختزل فكرة الآلهة
في الشارع الصاخب.

ابقيْ للهامش الحزين
ابقيْ للأغاني القلقة
للأشياء الشاردة.

ابقيْ
لحربي معي
حربي الدائرة في قلبي.
في مربّع الغرفة.

3ـ أنت

على الحائط بعضٌ منك
أنت المؤنّث المستترة
في الغيب.
لا شيء يلدُك.
لا وقت للتفكير في مشهدك.
الخطى متوحّشة تتّجه إلى الليل.

تعوي القافية في الطين.
يوشك الشبّاك أن يختلّ
في ذكرياتي.

أوشك أن ألوّن صفاتك محمومة
في الهذيان النابت في حمى التراب.

تجفّ شفتاي المهدورتان.
أتلمّسك أيتها الأنثى
في مرور خيول ليليّة صاخبة.
على شبّاكي أصدّق غيبتك.
أصدّق الانسحابَ كلَّه على جسدي.

على الحائط بعض منك.

يغمض الليل.
تغمض وجوهك
كلوحة من الزيت الخياليّ.

تتراجعين خلف الوقت.
تتشابك لمرورك الخاطف
أغصان دقيقة في الذاكرة.
تتهافتين فوق سبّابتي
كعصافير بلّوريّة.

تنسحبين من الفضاء الشاقّ.

أكاد أنسى وجهي منعكساً على المرآة
خدوشاً متشابكة.
أكاد أتسمّر قطعة من المفاهيم في زحامك.
أكاد أكفر بسمرتك.

سأمضي في جسدك المخلوط
وأمضي...
أجترّ القصص المستعصية على هامتك
أو كما على رصيف بلا لون.
أكاد أزحف جسداً فارغاً إلى تفاصيل أخرى.
أزحف...

إلى شجرة صامدة في قلبي.

أزحف في تلوينك بالأحمر القاني
أزحف في عبادة التعطّش
على الشبّاك.

أزحف في الأزرق السمويّ إليك.

اليوم الثاني

1ـ نصفُ الصعود

تقطرين.
رائحة فوق الروائح.
تسقين حاسّة اللمس المشقّقة.
يتحرّك شيء في اللاشيء
فوق أرض تقاطرك.

ماذا أنت؟
من أيّ صوت تنحدرين؟
من أيّ رقصة محبوسة في ظلمة داخلي؟
الرقصة الرابضة في إغماض عينيّ.
الرقصة المهتزّة تحت جلدتي.
الرقصة الدوّارة الصاخبة؟.
الرقصة التي تغوي خواء غرفتي.

أيّ صرخة فوّارة، أي حرارة في
جسدي المصغّر في جورك؟
أي صرخة في يديّ المتململتَين؟

كأن شيئاً يقهقه في الخواء.

كأن يديّ تتفككان
ثمّ تقهقهان، تقهقهان.
يداي تقهقهان.

يصعد نصفُ اسمك.
أتمشّى في محيطك الهشّ.
أنصت إلى مستقبلك المبهم.
إلى روائح من التململ
إلى أشياء في الظلام أنصت.

يصعد نصف شكلك.
تتكاثر الدوائر والدواخل.
وأخافك أيتها الغموض
أخافك أيتها الصدفة
أخاف عراء مستقبلك
في ارتفاع الضوء.

أخاف ممّا ستصنع بك يداي.
أخاف ما تتركين على يديّ.
يصعد نصف الصوت.
تتصاعد أنصاف المفاصل العمياء.

الإيقاع يتلوّى في البيت.

الإيقاع صوت لتقاطرك في القلب.
يتلوّى خوفي الثور الطليق
في مربّع الحجرة.

أخاف نصف صعودك أيتها الكتلة
في تصاعد الضوء.

2ـ النصف الأسفل للمنحوتة

تقوُّسان.
شبه دوائر.
كتل صغيرة.
القصبتان.

الوقوف الثائر في السهل.
جعجعة الوحوش في الزمن الأوّل.
وأيادٍ مصبوغة
بآثارٍ الضرب تحت الشجرة.

تقوُّسان.
شبه دوائر.
كتل صغيرة.
القصبتان.

الجذعان المائلان.
جذعان ملوّنان بريشة قابيل وقد حزن ما يكفي.
أولى الخطى
في البرّ الواسع
ثمّ قفزة الغرابَين في الذهن.

تقوُّسان.
شبه دوائر.
كتل صغيرة.
القصبتان.

الرحم البهيمة الساكتة.
العبّاد المجانين المصفّقون حذو الغدير.
اليد الخالدة على باب المعبد
تدقّ الجرس فيهذي.

تقوُّسان.
شبه دوائر.
كتل صغيرة.
القصبتان.

الصلاة، الصلاة، الصلاة.
الحرارة المحرّكة لسجّادتي.

خطو المتمشّية ضربات الدفّ حول تمايل رأسي؟
الصلاة، الصلاة، الصلاة.

تقوُّسان.
شبه دوائر.
كتل صغيرة.
القصبتان.

الصلاة في ظلام الرحم.
الدائرة الصفراء الوحيدة المتنقّلة في الظلام.
والأناشيد المخبولة تعلو خلف هبوط الهامات الرماديّة.
الصلاة، الصلاة، الصلاة.

ها يداي على شبه الدوائر تفْقع الأفكار المنتفخة.
ها يداي توقفان الولادة في منتصف الطريق.
ها يداي تدوران مع الدوائر.

ها كأنك بعض الأنثى التي أشتهي.

تقوُّسان.
شبه دوائر.
كتل صغيرة.
القصبتان.

الصلاة، الصلاة، الصلاة.
ها إني أمام ركبتَيك أنشد تعاويذي المخبولة.

3ـ في اتجاه النصف العلويّ

يداي تعلوان.
يداي تتراقصان.
تقطفان الفواكه من السقف الحجريّ.

الأعلى ساحر غريب.
العناكب متململة تنسج فساتين حركات يديّ في الأعلى.
يداي العائمتان في الهواء
تحرّكان فقاقيع الأفكار الساخنة.
يداي تجوبان الصور المعلّقات...
تغرقان في حلاوة الخَدَر والدوران.

يداي تعلوان.
يداي تتراقصان.
تقطفان الفواكه من السقف الحجريّ.

الدوار يبعد السقف.
الدوار يأتي بالنجيمات الزرقاوات الناعمات
حبّات قمح الآلهات الحارثات أرض الأعلى.

الدوار ولاّد الأساطير.
بنّاء التماثيل، ثاقب الأحزان في الليالي السوداء.
ضارب على طبل القلب ساعات السكر.

الدوار على يدي يغزل طينك أيها التمثال
أغيب وتتكوّنين.

يداي تعلوان.
يداي تتراقصان.
تقطفان الفواكه من السقف الحجريّ.

يداي تدوران حول يدَيك الساكنتَين.
يداك الحقيقتان في الأعلى الغريب.
يداك المشيرتان إلى عناكب متململة
وإلى آلهات حارثات بلا انقطاع.

يداك تفصلان السقف عن الغرفة المشوّشة.
وتفتحان أبواب السماء أمام يديّ المتراقصتَين
كضوءَين بعيدَين.

اليوم الثالث

1ـ رنين في الجسد

على جنباتك أضع صواعقي الفضّية.
أجرّب طرق زراعتي البسيطة.
أنت التربة وطريق اصطيادي لصرخات الحيوان.
أنت صرختي العالية أعلى الصخرة المبللة البارقة.
أنت الإشارات.
أنت الأمّ الكبرى.

أجيء من بطنك بلا انقطاع.
أسيّج مراعيّ بأعشابك السامّة.

على جنباتك أكتشف النار.
وأحفر أولى وجوه آلهتي البدينة.
أعرّي الحكمة وأكسر جرّتي الأخيرة.
على لوحَيك أندب كتابتي المسماريّة.
أصابعي أقلام مدبّبة تنقش أدبها البدائيّ على جنباتك.

في تمام اليوم السابع سأؤمن بالظلّ.
وأغمس يديّ في مطلق المياه.
في تمام اليوم السابع أصدّق الطوفان الصغير

الدائر في قلبي.

في تمام اليوم السابع تبدأ شهوري القمرية
إنارتها من فوق كتفَيك.
قليل القمر يتدّور وملمحك يتدوّر.
في تمام اليوم السابع تحيضين وأنطق تراتيلي الغامضة.

في تمام اليوم السابع تمامك وتمايلي.
أرقص دائريّاً فوق حرفتي المنتهية.
أرقص دائريّاً فوق خرقتي الزرقاء.
أقيم عشائي منفرداً.
في تمام اليوم السابع يصبح لانفرادي رنينٌ.

2ـ الكوكب الصغير السنّ

نبض بارد على الكوكب.
الولّادة تقلب ساعتها الرمليّة.
تدير صاع البخور حول الكوكب صغير السنّ.
البخور غيم سابح في سماء الأساطير.

أصابعي مغموسة في عجينة طينيّة.

الكوكب تفّاحة فوق كثيب رملي.

الكوكب جسد أنثوي فوق الكثيب.
أفعى تزحف في اتجاه الكوكب.

ليس سوى ورق الشجر الذي اصفرّ الآن فوق العورة التي تطفق في العراء.

لا بدّ من سكات ما أيتها اللبِنة.
سكات غامض أيتها النصب الغامض.
سكات وعر أمام صلصالك الوعر.

الكوكب أشياء تحدث في القلب المملوء بالكواكب.
الكوكب لوحة من الطبيعة الميّتة فوق طاولة بنّية.
الكوكب ظلّ كأس من الشراب الأحمر.
الكوكب ظلّ تفّاحة شهيّة في متوسط الطاولة.

النظر في الطين.
النظر في جثمان الخرافيّ الذي جمع الأزواج في قارب وأخطأ العدد.
الخرافيّ المتمتم بكلام غير واضح.

الكوكب الصغير السنّ
يدور حول دائرة خصرك النديّة أيتها الحمأ المسنون.
يدور من أجل الولادة.

اليوم الرابع

1ـ الأمم الصغيرة

الأمم الصغيرة بين يديّ
ألسنتها النارية وبقعها السوداء بين يديّ.
جلودها وأعينها المضيئة بين يديّ.
مزاميرها وأصواتها المختلطة
خواتمها والنساء اللائي يضربن الصوف على حوافّ الأنهار بين يديّ.

الأمم الصغيرة المحلّقة حول نار عظيمة
لعبادة الآلام الحارّة بين يديّ.

الأمم الصغيرة الرافعة للأيادي في عصبيّة.
الأمم الصغيرة التي تتقافز أمام إلهات الحبّ اليابسة.
عفاريتها الليليّة الصارخة في الشعاب بين يديّ.

أمومتها الحارسة لحبوب القمح الذهبية.
أقواسها المفتوحة لمرور نسمات من صلاة ومن نشيد.
هي الأمم الماشية كلّ صباح في جوّ من الغمام.

هي الأمم الحاملة أباريقها لتسقي أسماء العروس كلّ مساء.

هي ما يفوح منك أيتها المنحوتة السخيّة
وما يتقافز في الغرفة الصغيرة.

أنت ربّة من الربّات في تمامك ورعشتي.
أرتعش للجداول المتحرّكة فوق خصرك.
وأردّد من الشبّاك كلام الأمم الصغيرة
في آذان قرابينها.

هل تهن قوائمي في تفاصيلك المستقبل؟
هل يمتدّ بطنك قبّة زرقاء فوقي؟
هل أرتّب الكافي من العويل حتى تصيري لغتي؟

2ـ الدائرة

تمام الدائرة يشعّ.
كمالها يتعرّى في الركن القصيّ وتتعرّى حركتي.
تمام الدائرة وكمالها لزجان.
هما من نشآ في بكمي.
تمامها وكمالها يضطربان في بياض قلبي.
الدائرة متعبة
ووجلة تشقّ النور مطفأة.
الدائرة سيّارة في موكب القلق.
الدائرة واقفة تمام الحكمة وفي نصف الحلم.

تمامها المملوء بالنفس.
تمامها المنتفخ في هزالي.
العرش الفارغ مملوء بصدى فقاعتها الثائرة.
العرش لا أنبياء لأنهاره السارية في صمت.
لا إله لدائرته
الضائعة في الدوار.

تمامها الفارغ من المخلوقات الضاجّة في الفراغ.
تمامها الواسع في شعاب من دخان.

اكتملت الدائرة وانغلقت.
هي بعض النشيد الفطريّ للعباد الزرق.
هي بعض الكلام العاجز في الأفواه المزبدة.
هي تآكل الأفعى وترنّح المثقل بالأسرار في الشعاب.
هي كلّ الحركة في ليل بهيم.

اكتملت...
ماذا بعدكِ أيتها الوعد؟
ماذا بعد أربعائكِ المرتعد؟

اكتملت
غداً تركض ثيرانك على وجه البسيطة.
غداً تموج حملانك وغزلانك فوق الهضاب.

غداً يتكوّر الأعلى الغريب
في غرفتي الصغيرة.

اليوم الخامس

ليل أعلى المنحوتة

ملء الغرابة أتكدّس قبالتها.
كلوحة زيتيّة على الحائط
كاللوحة تلك...
لا أعلن الألوان كلّها.

ثمّة ليل في أعلى المنحوتة.
أكوّر قبّة النهدَين
وأنوي دائرة الرقبة.
على مقربة من فكرة الوجه أرتعد.
لا صورة لي لأعمّر الخلاء الأعلى.
يلازم الليل أعلى المنحوتة والسقف.

لا تتّضحي الآن.
لا تكشفي سرّك المدفون في الطين.

أكوّر قبّتَي نهدَيك
وأنوي دائرة الرقبة.
أتشمّم ما بين نهدَيك الساكنَين.
أتلمّس صدرك البهيم

أيتها المنحوتة، أُخفيك عن تقافز السوريالية فيَّ.
ألقي فكرة النفخ فيك من الشبّاك.

تبّاً للضوء الشبق
يلامس رقبتك المعوجّة.
كأنك تتحرّكين قليلاً في اتجاهي.
كأنّك تتحرّكين كثيراً ناحية الشبّاك.
كأنك تحاولين مسك سوريالِيتي المطرودة.
نهداكِ ساكنان في واقعيّة.

الرقبة تخون بعض حفري الحنون.
شيء من الطين يكفي لتسكني.
شيء من الطين يكفي لتظلّي معي.
كي لا أفتح الشبّاك تماماً على الضوء.

نهداك يتكوّران شهيَّين.
الرقبة تتطاول نحو وجه مزعوم.
أنا أتدفّأ بفكرتك
ولا أؤمن بطينتك الباردة.

شيء من الطين.
شيء منه لاتّضاح ما في الأعلى الغريب.
شيء من الطين لأزداد اقتراباً منك.

الطين لفكّ عقدة من يدي.

ينخفض الضوء.
أنصت إلى عشوائيّة أصابعي المغموسة في طينك الرخو.
ينخفض الضوء.
كأنك تغيبين
أو كأني أغيب للحظات في سمرة الغرفة.

كأنك تختلطين بي.

ذراعاي تطوّقانك في حلاوة حلول الليل.
خصرك المتشكّل للتوّ يفوح
برائحة المطر الدافئ.
تضيع رأسي في سكونك اليابس.
وأستردّ لحظاتك الأولى.
لحظات تشوّشك في رأسي.
وفي كتلة الطين المستسلمة إلى وحشيّتي.

إنك حقيقة في جوّ من الإخفاق
إنك لغتي الوحيدة.

ينخفض الضوء.
أتلمّس كلماتي في طيّات طينك.

استجيبي إلى سبّابتي أيتها الكتلة البكماء.
استجيبي إليها، تحفر سرّتك
ثم القصيّ منك والدافئ.
ليذهب بعيداً سرّك الجسديّ.
لتبتعدي أيتها المنحوتة.
ابتعدي عن فعلة الخيال العشوائيّة.
لتخوني دواري وباصرتي.
فوحي بشهوة بدائية غليظة.

اطردي طعم العدم
لتتّضح حركة في مساحة بطنك المتّسع
في انخفاض الضوء.

أنت آتية من أقصاي.
أنت رائحة تناقضاتي.
أنت حليبٌ ينزّ من حلمة الغياب.
أنت التكدّس الفلسفيّ الناعم.

أنت إيقاع النحت
النحت على دوائر تتدافع في الفضاء
أنت ما أتبع تكوّنها حتى أكون.

أنت المستترة في طواحين القلب الدوّارة.

البُذور الرابضة
في بطن الأرض الحالمة.

أنت التي أراها.
أو مرّت فيمن يمررن دائماً.

أنت من تقضم شطرَي تفّاحتي.

اليـوم الســادس

1ـ الظلّ

حدّقي أيتها المنحوتة في عينيّ.
لتتكوّن دمعتك مشتهاة، طيّبة أسفل عينَيك.
حدّقي في عينيّ.
تكفر دمعتي الماء.
وتطوف غيوم حول الدائرة السوداء في عينيّ.

حدّقي في رعشتي.
رعشتي العالقة فوق خدَّيك اللزجَين.
ندوب أظافري على مشهدك الرخو.
وقوفي الطويل أمام طيّاتك المفزعة.

أيتها المنحوتة
يا بنت الخيال.
يا جسد الوهم.

انظري كيف يتلاحم ظلّي مع كمال ظلّك.
بينما ينصبّ الضوء دافئاً من الشبّاك.

انظري كيف يتسطّر الغموض

فوق شفتَيك المتلاحمتَين.
وكيف تبرد سبّابتي التائهة
في لحمك البنّي.

أيتها المنحوتة.
هذا يومك السادس
يخفّ طينك ويطنّ تحت أصابعي.

تذهبين ناحية اليبس.
تذهبين ناحية الصمت.
تصمت أجزاؤك.
تذهبين ناحية القرار.
تصيرين صعبة اللمس.

تصمدين أمام نواياي المضطربة.
ظلّك متحرّك في الاتجاهات كلّها.
كأنك تبتسمين للضوء.

تزيّنين الحلم وركن البيت.
إنك حرارة أصابعي.
ووثبة نحو قلبي الحقيقيّ.

أيتها المنحوتة

غداً يومك السابع
غداً ترضعين الألوان والأضواء والارتعاشات.
غداً أراقصك أيتها المنحوتة.
غداً أنام في ظلّك
وأُسمّى.

أمامك يمتدّ حقلي.
عشبه واقف وقوفك في جمجمتي.
أمامك يُحمِّر شجري شفاه الثمرات العاريات.
أمامك حواسي ينسجنَ أرديةً للحم خطاياي.
والفتيل الموقّت
يحرّك الأشباح النورانية في هدوء.

أمامك أنصاف الأشياء والأسماء يتوزّعن في العبث.
أمامك منفضة لرماد من الهزائم.
وعليك دوراني.

أولّيك على الغرفة خنثى تحمل النصّ بعيداً.
أولّيك في الغرفة أنثى تهزّ القلب بعيداً.

هذا يومكِ السادس
هذا يومكِ العذب الغامض.
سبتكِ المشمس المقمر.

هذا سبتك الوامض
آنس به وأَحفر مشهدي القديم الناعم على الحجر.

2ـ صباح خلف المنحوتة

هذا صباحك يطلّ من خلفك.
هذه شمسك الصغيرة تُبطئ عند رقبتك.
هذه شمسك توزّع الدم على شطرَي شفتَيك الساكنتَين.

هذا صباح من حراك الملاك الأزرق الرافض
يزيّن الهواء ويعطّر فكرة الروح.

هذا صباحك أيتها الطينيّة التامّة.
صباح تكوينك حمّال النطف والبراعم.

هذا صباحك الشهوانيّ المقدّس.
صباحك الطوق الفضيّ المشعّ.
ألقك المتنفّس في الأرجاء.

اليوم السابع

كُوني

تمشّيْ على سطح المساء.
احملي بصري إلى أبعد من الغيمة.

رتّبي دياراً هوائيّة للخيال.
أنيري ببرقك عاصفتي الشعريّة.

أخيطي السطور مبتسمة في شرفتي.
رتّبي حقائبي والطيور المهاجرة.

كوني.

لوحكِ تترعرع فيه حبّات من ماء برّاقة تتساقط الأشباح منها وتتّضحين وتوضّحين السقف. لوحكِ تتوادّ فوقه لهفتاي ويتوه عليه الملاك ذو الأصابع الذهبيّة.

لوحك يزيّن شوارع الجنّة.
ويضيء فانوساً في الوراء المقدّس.
لوحك شراع الرحلة الأبديّة. تتبعين الأنهار الجارية من تحت أقدامها.

الرحلة دائريّة والراحل ماشٍ في المنام.

لوحك يبرق أحجية من الكون البارد الصامت.
يبرق أسراراً مطمورة تحت اللاشيء.
لوحك برّاق كعنف جناحَين حافلَين بالأزرق السمويّ.
برّاق كعين الطفل المقيم في الظلّ.

سيهذي لوحك وسأهذي فوق الطوفان.
سيتمسّح لوحك بأيادي الماء الشفّافة.
سينصت وأنصت إلى اختلاط الينابيع.
سيحمل ذكرى الجذع الأوّل.

ما أمكن من تفّاح الآن يا سيّدة هوّتي
ما أمكن منه لأتجاوز العتبة.
لتزحف إليّ الأناشيد القديمة كالأفاعي.

ما أمكن من لعنة أيتها السيّدة الفخّاريّة
لأشفى من الرعود الغامضة
ومن الوعود الكافرة.

ما أمكن من زغاريد من فمك اليابس
لتنتبه الظلال الآتية من البعيد.
ما أمكن منها لأقطع الشارع الطويل الذي في اتّجاه المرآة.

المرآة المخلوق الذي من نار.
ما أمكن منها لأقرّر الشكل الأخير لعباءتي ولأغيّر من الروح ما لا يروق لها.
ما أمكن منها لأشتقّ من الطريق إليك دِيناً.

ما يكفي من نهدَيك في الظلمة
ما يكفي منهما لأوزّع ألواني على جوّ من المشاة.

أصواتٌ في المنحوتة

أنت تربة مطفأة وعناصر جاحدة.
تمتصّين منيّ الوجود في بُكم.
أنت الملهاة البنّية في الغرفة.

أنت الصخرة المتدحرجة وأدفعها.
أنت المؤنّث الأخرس الطالع من قلبي.
أنت الفرس الخشبيّة الحاملة للغزاة.
حولك تحوم الملائكة المطرودة لحفر سرّتك.

خفقتك التي نحتُّ
رقصتك المحبوسة في الأنحاء.
يومك السابع هذا وهذه أصواتك:

صوتٌ للدفوف المترهّلة.
صوت لجلود الأيادي اليابسة المتماسّة في الأعلى.
صوت للساعة التي تدقّ في عفن الهواء والوحدة.
وصوت للتموّج في المطلق.

صوتٌ لغرابة التمعّن في أشياء متوالدة في السرّ.
صوتٌ لحركة المجنون في الأنحاء.

وصوتٌ للبياض الشفّاف المخيف.
صوتٌ للمؤذّن الصباحيّ الواقف وقوف الصومعة.
صوت الأخطاء المتجمّعة فوق الوسادة النيّئة.

صوتٌ لخطوتَيها تشقّان حقل القمح.
وصوت لأنفاسها المحرّكة للسنابل كالثعابين.

صوتٌ لقضم التفّاحة في دهشة.
صوتٌ للنصف المتبقّي منها المحمرّ كمساء صيفيّ.
وصوت مكتوم لشهوة مبلّلة لبلّور الشبابيك المغلقة.
وصوت لليائس من زائرته تمام الساعة الصفر المنتفخة.

صوت تلعثمات القوّالين تمام الجنون.
صوت للقدم الضاربة في القدم.
صوت للفتحات المفتوحة على تلوّي الريح
صوت هبوط الأحزان في العالم الأسفل إلى الكائن الهشّ.

صوت للبويضات الآفلة في الباطن المخيف.
صوت صدى الترنيمات في الكنائس الهادئة والباردة.
صوت لسقوط الخاتم السحريّ من يدَين مذهولتَين.
وصوت للفكرة وهي تحتّ الخطى ناحية الصمت.

صوت للصمت.

سبع مياه لانعكاس القمر بتمامه

سبع مياه تجري من تحتك.
يلمس مسّ من الغبطة قدمَيك المقدّستَين.
هل قلتُ: تحرّكي الحركة المملوءة بالشهوة؟
هل قلتُ: اخطي خطوة نحو البعيد البعيد؟
تشمّمي وردة التوحّد في مثل هذه الساعة؟

سبع مياه فضّية تتلألأ في اكتمال رسومي.
الرعود ترقرقت هي الأخرى ضوئيّة
من تحت إبطَيك.
الأماكن تنفّست سرّها في البرّ.
الغرفة متاهات سبع لقلبي.

وشّيت النصّ الكامن منذ أصباح عديدة.
أسميت الأشياء المبهمة بإبهامها.
أتممت حفر الحوافّ يا امرأتي.

الحدود لا حدود لها.
قلت: انطقي.
تلكّئي بأولى الحروف المتباعدة.
وضعت الصوت الأنثويّ المشتهى.

سبع مياه تغمرك الآن وسبعة بروج بنّية ستُكنِّينها.
سبع مياه تفور في الأغوار.
سبع مياه لانعكاس القمر بتمامه.
سبع مياه تلوّن النبات في طمأنينة.
سبع مياه أيتها النبتة تنزّ منكِ إليكِ.

ارتعاشات النحّات

الطين...
الطين الفائح في الهامش
الطين المرميّ في غفلة اليدَين
- يدان تنحتان الملل والأهواء -

الطين المتكدّس على القارعة
المخلوط بأثر قدم منزلقة
وببريق اللهاث السائل

الطين المتراصّ
فوق لوحة من لحظات تافهة
الطين الحامل هذيان النحّات ولعثماته.

- النحّات منصرف إلى الشيء الوحيد ذي المعنى بين يدَيه -

الطين بلا معنى لا يرى
لا جسم ولا اسم.

هو المروق عن دوائر الخلق.
هو الحيرة...

هو الذي سيَيبس ببطء خارج اللهاث
لهاث الجاثي أمام الشيء الوحيد الواضح
بين اليدَين.

الطين ذاك... أشياء عدّة
خارج اليدَين.

الطين ذاك... ما سيفور في نومة النحّات الهادئة
بين يدَي منحوتته.

هو... ما سيتململ بعيداً عن التنبّؤ.

الطين ذاك... منحوتة أخرى
غريبة ومشوّهة.

الطين ذاك... أشياء الحقيقة
وارتعاشات النحّات.

أيتها الاعتباط

حزن يلهو بعشبتَين
في ناحية ما منّي
في جهة من إغماض عينيّ

حزنٌ يقدّ من رمالي تنفّسي
قصراً سوريالياً تمرّ الريح من شبابيكه الصغيرة
– يكفّ الطفل عن تحريك يدَيه
في سكون الشاطئ
أو في رئتيّ

حزنٌ لصلاتي العشوائيّة
كلّ ليلة، أعيد تسمية الشبّاك

حزنٌ
حزنٌ ملء إغماض عينيّ

ساقيةٌ عمياء
تضجّ ببكاء فضّي.
أبرقْ أيها الحزن في تكدّس الأخطاء
بلّل الأشعّة.

بلّل العراءَ
بلّل المنحوتة الواقفة في ناحية ما
من إغماض عينيّ

أبرقْ في الشارع المتّسخ بضباب الشيوخ
الفارّين من النهاية
أبرقْ في الشارع المفتوح لتكاثر الآلهة

أيها الحزن
احملْ الذاكرة الفوّاحة
احملْها
تلك الواقفة في كلّ شيء

أيتها الواقفة
أيتها الضوئيّة على شفة الكأس.

أيتها الشجرة المتوسّطة للكون
إني أحاول الفيضان.
أحاول نسيان العابرين بيني وبينك.

إني الهارب إلى المفهومات الصغيرة.
إني العائد إلى الهواء القليل فوق طاولتي.
أيتها الواقفة

أيتها الفكرة
أيتها الاعتباط
إني أفتح عينيّ.

مقطوعة للشهوة

نمرة مخبوءة في نظرتك.
ضوء يعانقني في حنان.
حبر شفتَيك شاقّ يفيض في حمرة معذّبة.
رفقاً
أيتها الطين.
رفقاً بقراري المنهك
وبانتظاري امرأةً من النافذة.

رفقاً يا زوجتي (لو حدث طوفان آخر)

اركبي معي القارب الخرافيّ في طاعة.
ولنقتسم خوفي ونظرتك.
رفقاً.
أحتاج رفقتك في رفق من أجل القصيدة المقبلة.

المحتويات

نثريّة لخريف بجماليون 7

اليوم الصفر

- الما قبل 9
- برّاق أيها العنف الكامن في السواد 10
- قبضة من الطين 13

اليوم الأوّل

- الماء والطين 16
- الفكرة الجائرة 18
- أنت 22

اليوم الثاني

- نصفُ الصعود 25
- النصف الأسفل للمنحوتة 27
- في اتجاه النصف العلويّ 30

اليوم الثالث

- رنين في الجسد 32
- الكوكب الصغير السنّ 33

اليوم الرابع

- الأمم الصغيرة 35

- الدائرة 36

اليوم الخامس

- ليل أعلى المنحوتة 39

اليوم السادس

- الظلّ 44
- صباح خلف المنحوتة 47

اليوم السابع

- كوني 48

أصوات في المنحوتة 51
سبع مياه لانعكاس القمر بتمامه 53
ارتعاشات النحّات 55
أيتها الاعتباط 57
مقطوعة للشهوة 60

المحتويات 61